22

(العقيدة الإسلامية) وتحديات (العدمية الفلسفية) في القرن الحادي والعشرين – قراءة نقدية

م. د. واثق مانع محمد الجميلي

كلية الإمام الأعظم الجامعة – الفلوجة

Islamic Creed and the Challenges of Philosophical Nihilism in the Twenty-First Century: A Critical Study

Dr. Wathiq Mani'e Mohammed Aljumaily

Alimam Aladham University

الملخص

تتناول هذه الدراسة إشكالية العلاقة بين العقيدة الإسلامية والعدمية الفلسفية في سياق الفكر المعاصر، حيث تسعى إلى تقديم قراءة نقدية لجذور العدمية وتجلياتها الراهنة، وبيان كيفيات تصدي العقيدة الإسلامية لها. يبدأ البحث بتحديد مفهوم العدمية الفلسفية، بوصفها نزعة فكرية تنكر وجود غاية أو معنى للحياة، وتتعدد صورها بين العدمية الوجودية، والأخلاقية، والمعرفية. ويستعرض المبحث الأول الجذور الفلسفية للعدمية، مع رصد تأثيرات الفلاسفة الكبار أمثال نيتشه وشوبنهاور وكامو، ثم ينتقل إلى بيان تجليات هذه الظاهرة في القرن الحادي والعشرين، حيث اتخذت العدمية أشكالاً ثقافية واجتماعية، تجسدت في الإلحاد الجديد، وثقافة العبث، والانتحار المعنوي. أما المبحث الثاني، فقد خُصص لتحليل موقف العقيدة الإسلامية من العدمية الفلسفية، فتمّ إبراز مركزية المعنى والغائية في الرؤية القرآنية، بوصف الإنسان مخلوقًا له رسالة، ومُكرمًا بمهمة الاستخلاف والإعمار. كما ناقش البحث كيفيات الرد العقدي على الأطروحات العدمية، عبر تأكيد معاني الإيمان بالله، والبعث، والجزاء، باعتبارها ركائز تمنح الإنسان طمأنينة وجودية متماسكة. واختتم البحث باقتراح استراتيجيات علمية وعملية لتعزيز العقيدة الإسلامية في مواجهة تحديات الفكر العدمي، عبر التجديد التربوي والفكري، وتطوير وسائل الخطاب الديني بما يلبي الحاجات الفكرية للإنسان المعاصر. تكشف الدراسة أن العقيدة الإسلامية، بثباتها ورسوخها، قادرة على تقديم إجابات وجودية متماسكة تحفظ للإنسان معناه وكرامته أمام تيارات العدمية المضللة، مما يجعلها صمام أمان للفكر الإنساني في عصر القلق الوجودي.

الكلمات المفتاحية: العقيدة، الإسلام، العدمية الفلسفية، الدراسة النقدية، أصول الدين

Abstract

This study addresses the problematic relationship between Islamic creed (‘Aqīdah) and philosophical nihilism within the context of contemporary thought. It seeks to offer a critical reading of the roots of nihilism, its current manifestations, and to illustrate the ways in which Islamic doctrine confronts these challenges. The research begins by defining philosophical nihilism as an intellectual tendency that denies the existence of purpose or meaning in life, presenting its various forms, including existential, moral, and epistemological nihilism. The first chapter explores the philosophical origins of nihilism, highlighting the influences of major philosophers such as Nietzsche, Schopenhauer, and Camus. It then examines the contemporary manifestations of nihilism in the twenty-first century, where it has evolved into cultural and social forms expressed through new atheism, absurdist culture, and existential suicide. The second chapter is dedicated to analyzing the Islamic doctrinal position towards philosophical nihilism. It emphasizes the centrality of meaning and purposeful existence in the Qur'anic worldview, portraying the human being as a creation endowed with a mission of stewardship and cultivation. The research further discusses the theological rebuttal of nihilistic propositions, affirming the meanings of faith in God, resurrection, and divine judgment as essential pillars that provide coherent existential reassurance. The study concludes by proposing scientific and practical strategies to reinforce Islamic creed in confronting the intellectual challenges posed by nihilism, emphasizing the need for educational and intellectual renewal, and the development of religious discourse that addresses contemporary human intellectual needs. The study reveals that Islamic creed, with its stability and profound rootedness, offers coherent existential answers that preserve human meaning and dignity against misleading nihilistic currents, making it a safeguard for human thought in an era of existential anxiety.

Keywords: Creed, Islam, Philosophical Nihilism, Critical Study, Fundamentals of Religion

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإيمان، وأكرمنا بالعقل والبيان، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ خاتم الرسل والأنبياء، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن العقيدة الإسلامية تمثل حجر الزاوية في البناء النفسي والفكري والوجودي للإنسان المسلم، حيث تؤسس منظومة شاملة من القيم والمعاني التي تفسر الوجود وتوجه السلوك الإنساني نحو الغاية السامية التي خُلق لها. وفي مقابل هذا البناء العقدي الراسخ، برزت في الفكر الفلسفي الغربي الحديث والمعاصر تيارات فكرية خطيرة، لعل أبرزها تيار العدمية الفلسفية (Nihilism)، الذي قام على إنكار المعنى والغائية في الحياة، واعتبار الوجود الإنساني عبثياً بلا غاية مرجوة ولا مقصد مقصود.

وقد نشأت العدمية بوصفها ظاهرة فكرية وفلسفية معقدة، لها جذور عميقة في تطورات الفكر الغربي، خاصة في خضم تحولات ما بعد الحداثة، وثورات الشك الفلسفي، وانتكاسات المشاريع التنويرية. وتجلت آثارها بوضوح في القرن الحادي والعشرين، في مظاهر ثقافية وسلوكية خطيرة، مثل الإلحاد الجديد، والعبثية الوجودية، وانتشار مشاعر اللاجدوى والانتحار النفسي لدى الأفراد والمجتمعات. الأمر الذي يستدعي وقفة علمية متأنية لتحليل هذه الظاهرة، ورصد أبعادها، وبيان سبل مواجهتها.

من هنا، تنبع أهمية هذا البحث في تقديم قراءة نقدية للعلاقة بين العقيدة الإسلامية وتحديات العدمية الفلسفية، من خلال تحليل تأصيلي وجذري للمفاهيم، واستعراض الجذور التاريخية والفكرية للعدمية، ثم الوقوف على كيفية تصدي العقيدة

الإسلامية لهذا الفكر، عبر ترسيخ معاني الغاية، والرسالة، والإيمان بالغيب، وإبراز دور العقيدة في تثبيت الإنسان على جادة الفطرة والمعنى.

وتكمن إشكالية البحث في التساؤل الجوهري الآتي:

كيف يمكن للعقيدة الإسلامية أن تواجه التحديات الفكرية التي تطرحها العدمية الفلسفية المعاصرة، وتحفظ للإنسان معناه وكرامته الوجودية؟

ومن هنا تتفرع أهداف البحث إلى:

- توضيح مفهوم العدمية الفلسفية وجذورها وتجلياتها المعاصرة.
- إبراز الموقف العقدي الإسلامي في ترسيخ المعنى والغائية ضد العدمية.
- تحليل سبل تعزيز العقيدة الإسلامية في مواجهة النزعات الفكرية العدَمية الحديثة.

وسيعتمد البحث منهجًا تحليليًا نقديًا، يقوم على تتبع الظاهرة من جذورها، وتحليل أطروحاتها، ومقارنتها بالتصور الإسلامي للعقيدة والوجود، واستنباط الحلول والمواقف العقدية الرصينة لمجابهة هذه التيارات.

ولأجل تحقيق ذلك، قُسم البحث إلى مبحثين رئيسين:

الأول: يتناول العدمية الفلسفية من حيث مفهومها، وجذورها، وتجلياتها الراهنة.

والثاني: يحلل موقف العقيدة الإسلامية من العدمية، من خلال قراءة نقدية، تأصيلية، واستشرافية.

والله أسأل أن يوفقنا للسداد، ويعيننا على الإسهام العلمي في ترسيخ العقيدة الصحيحة في زمن الفتن الفكرية والتقلبات العقدية.

المبحث الأول: العدمية الفلسفية: المفهوم والجذور والامتدادات المعاصرة

المطلب الأول: مفهوم العدمية الفلسفية وأنواعها

تُعدّ العدمية الفلسفية من المفاهيم التي شهدت تطورًا دلاليًا معقدًا عبر القرون، سواء من الناحية اللغوية أو الفلسفية. من حيث اللغة، يُشتق مصطلح العدمية (Nihilism) من الكلمة اللاتينية "nihil"، التي تعني "لا شيء". وقد ارتبطت فكرة العدم منذ القديم بمفهوم الفناء والعدم الوجودي، لكن التحديد الدقيق للمصطلح أخذ بُعده الفلسفي في العصر الحديث، حيث أصبح يدل على إنكار القيم والمعاني المطلقة، ورفض وجود حقيقة موضوعية ثابتة (كروسبي، 1988، 5) وتطورت العدمية بوصفها موقفًا فكريًا معارضًا لكل أشكال البناء الفلسفي الداعم للمعنى، ورافضًا لكل محاولة لتبرير الحياة أو النظام الأخلاقي بمعايير مطلقة، مما جعلها تُعتبر واحدة من أخطر التيارات الفكرية التي عصفت بالعقل الغربي الحديث.

وتتعدد أنواع العدمية بحسب المجالات التي تنكر فيها القيم والمعاني. ولعل أبرز هذه الأنواع تتمثل في العدمية الوجودية، والعدمية الأخلاقية، والعدمية المعرفية. فالعدمية الوجودية (Existential Nihilism) تفترض أن الحياة برمتها بلا هدف أو قيمة جوهرية، وأن وجود الإنسان حادث عارض بلا مغزى كوني، وقد عبّر نيتشه بوضوح عن هذه الفكرة بقوله: "لقد مات الله"، في إشارة إلى انهيار الأسس الميتافيزيقية التي تمنح للحياة معنًى (نيشته، 2006، 32) أما العدمية الأخلاقية (Moral Nihilism)، فهي الموقف الذي ينكر وجود قيم أخلاقية موضوعية، معتبرا أن الأحكام الأخلاقية لا تستند إلى أي حقائق خارجية، بل هي تعبير عن مشاعر أو أوهام ثقافية متغيرة (Garcia, 2015, p. 32). وأخيرًا، تظهر العدمية المعرفية (Epistemological Nihilism) في إنكار إمكانية الوصول إلى معرفة حقيقية مؤكدة، إذ ترى أن كل المعارف قابلة للشك والنقض، وأن الإنسان عاجز عن تحقيق يقين معرفي موضوعي (كالدويل، 1994، 66).

وتبرز فروق دقيقة بين هذه التيارات العدمية رغم اشتراكها في المبدأ الأساسي القائل بإنكار المعنى والقيمة. فالعدمية الوجودية تتمركز حول سؤال الغاية والمعنى الشامل للوجود، وتنتج عنها مشاعر القلق والاغتراب، وهي التي مهدت لظهور الفلسفة العبثية مع ألبير كامو وسارتر. أما العدمية الأخلاقية فتتركز على الجانب القيمي للسلوك الإنساني، فترى الأخلاق منظومة اعتباطية لا جذور موضوعية لها. في حين أن العدمية المعرفية تضرب في أساس الإمكان البشري للمعرفة، مما يؤدي إلى التشكيك العام في أي بناء علمي أو فلسفي. وعلى الرغم من أن هذه الأنواع قد تتداخل في بعض الأحيان، إلا أن لكل منها مجالًا خاصًا ينشط فيه ويؤثر على أنماط التفكير والسلوك بطريقته الخاصة (جيليسبي، 1995، 14)

ومن ثم، يتضح أن العدمية الفلسفية ليست ظاهرة أحادية البُعد، بل هي شبكة معقدة من المواقف الفكرية التي تتلاقى في نفي المعنى والقيمة، وإن اختلفت في مجالات التطبيق وشدة الطرح. وهذه الفروق الدقيقة تكتسب أهمية بالغة في تحليل التأثيرات الاجتماعية والثقافية للعدمية في العالم المعاصر، وفي استشراف سبل التعامل العقدي معها.

المطلب الثاني: الجذور الفكرية والتاريخية للعدمية الفلسفية

تُعد العدمية الفلسفية نتاجًا لتطورات فكرية عميقة ومعقدة شهدها الفكر الغربي على امتداد القرون الماضية، حيث لا يمكن فهم العدمية إلا من خلال تتبع مسارها التاريخي والفلسفي، بدءًا من إرهاصاتها المبكرة، وصولًا إلى ذروتها مع فلاسفة القرن التاسع عشر والعشرين. لقد ظهر أول تمظهر فلسفي واضح للعدمية مع الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور (Arthur Schopenhauer)، الذي طرح رؤية سوداوية للعالم، مؤكداً أن الحياة الإنسانية تسير تحت سلطة إرادة عمياء لا عقلانية، وأن الألم هو السمة الجوهرية للوجود. هذه النظرة القاتمة ساهمت في زعزعة الثقة التقليدية بالقيم والمعاني، ومهدت لظهور تيارات فكرية أكثر جذرية (سكوبينهاور، 1966،

41) ثم جاء فريدريك نيتشـــه (Friedrich Nietzsche)، الذي عمّق الفكر العدمي حين أعلن موت الإله، مؤكدًا أن الإنســـان المعاصـــر فقد الإطار الغائي الذي كان يمنحه معنى للحياة، ودعا إلى تجاوز هذه المرحلة من خلال تبني مفهوم "الإنســـان الأعلى" (Übermensch) كبديل عن القيم التقليدية المتداعية (نيتشـــه، 2001، 119) ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تطورت العدمية مع ألبير كامو (Albert Camus)، الذي عبر في أدبه وفلسفته عن الشعور العبثي الناتج عن فقدان المعنى، حيث يرى أن المواجهة الصـــادقة مع هذا العبث تقتضـــي التمرد، لا الانتحار أو الاستسلام (كاموس، 1991، 32)

إن نمو الفكر العدمي لم يكن بمعزل عن الســياقات التاريخية التي عصــفت بالمجتمعات الأوروبية. فقد ســـاهمت عدة عوامل في تعميق النزعة العدمية، أبرزها فشل المشروع التنويري الذي وعد الإنسانية بالخلاص عبر العقل والعلم. فمع اندلاع الحروب العالمية، خصـــوصًـــا الحربين العالميتين الأولى (1914–1918) والثانية (1939–1945)، شـــهدت أوروبا انهياراً مدوياً لكل الشـــعارات المثالية التي رفعتها عصر الأنوار، مما أدى إلى خيبة أمل حضارية كبرى. هذه الحروب أظهرت الجانب الوحشـي من الطبيعة الإنسـانية، وكشـفت أن التقدم التقني والعلمي يمكن أن يُسـخر لأبشـــع صـــور الدمار، وهو ما عزز الشـــعور بالعبثية واللاجدوى لدى الأفراد والمجتمعات (باوميســـتر، 1991، 68) كما أن صـــعود الأنظمة الشـــمولية، والانقســـامات الإيديولوجية الحادة خلال القرن العشـــرين، والانفصـــال المتزايد بين الإنسان والعالم الطبيعي، عمّقت جميعها من الشعور بفقدان المعنى.

ومع تواصـــل التحولات الاجتماعية والثقافية، انتقلت العدمية من كونها تيارًا فلســفيًا نخبويًا إلى أن أصــبحت ظاهرة ثقافية وســلوكية جماهيرية. فلم تعد العدمية تقتصـــر على المنابر الأكاديمية أو دوائر المثقفين، بل تجســـدت في أنماط الحياة اليومية، والفنون، والإعلام، والثقافة الشـــعبية. هذا الانتقال أفضـــى إلى ما يُســـمى بالعدمية الثقافية، حيث أصبح التشكيك في القيم، والاستهزاء بالثوابت، وتبني العبثية

كأنماط تعبير فنية وأسـلوبية، جزءًا من الثقافة العامة يانغ، 2007، 43) كذلك، ظهرت العدمية السـلوكية في شـكل لا مبالاة جماعية تجاه المسـؤوليات الأخلاقية والاجتماعية، وانتشار أنماط من السلوك الانتحاري والمُدمّر للذات، والتي تعكس أزمة عميقة في الهوية والمعنى. هذه التحولات أبرزت أن العدمية لم تعد مجرد فكرة فلسفية، بل أصبحت جزءًا من التجربة اليومية للإنسان المعاصر.

من هنا، فإن تتبع الجذور الفكرية والتاريخية للعدمية يكشـف عن كونها استجابة مأساوية لفشل مشاريع الحداثة الكبرى، وعن تحولها من ظاهرة فكرية نخبوية إلى نمط وجودي معمم. وهذا ما يجعل التصـدي للعدمية تحديًا لا يقتصـر على المسـتوى الفلسـفي فحسـب، بل يمتد ليشـمل الأبعاد النفسـية والاجتماعية والثقافية للإنسان الحديث.

المطلب الثالث: تجليات العدمية الفلسفية في القرن الحادي والعشرين

شـهد القرن الحادي والعشـرون تصـاعدًا لافتًا لتجليات العدمية الفلسـفية في مختلف جوانب الفكر الغربي المعاصـر، حيث اتخذت أشـكالًا جديدة متلائمة مع التغيرات الثقافية والاجتماعية والتقنية. ولعل من أبرز هذه التجليات بروز ما يُعرف بـ"الإلحاد الجديد" (New Atheism)، وهو تيار فكري قاده مفكرون أمثال ريتشارد دوكينز (Richard Dawkins)، وكريستوفر هيتشنز (Christopher Hitchens)، وسام هاريس (Sam Harris)، يتميز بنزعته الهجومية ضد الدين، ورفضه القاطع لأي ميتافيزيقا أو تفسير غائي للوجود. وقد قدّم الإلحاد الجديد رؤية للعالم خالية من المعنى الكوني، مشـددة على عبثية الوجود وقصـور الأديان عن تقديم أجوبة مقنعة (داوكينز، 2006، 23) وعلى صـعيد الفنون، تبلورت ظاهرة "العبثية الفنية" (Absurdist Art)، التي تهدف إلى التعبير عن فراغ الحياة ولا معقوليتها، وقد تجلت في المسـرح، والأدب، والفن التشـكيلي، بأعمال مثل مسـرحية "في انتظار غودو" لصمويل بيكيت (Samuel Beckett) التي جسدت الانتظار العبثي للمعنى الغائب

(إيسلين، 2004، 45) كما انتشرت ثقافة "اللاهدفية" (Aimlessness Culture)، حيث أصـــبح الإنســـان يعيش حالة تيه وجودي دون غايات عليا، مكتفيًا بتجارب سطحية لحظية بلا رؤية متماسكة للحياة.

ولم تقتصر مظاهر العدمية الفلسفية على الساحة الفكرية أو الفنية، بل امتدت إلى أنماط الحياة الاجتماعية، حيث برزت ظاهرة "انتحار المعنى" (Suicide of Meaning) بوصفها واحدة من أخطر إفرازات العدمية. فمع فقدان الأفراد لإحساسهم بالانتماء والقيمة الذاتية، ارتفعت معدلات الانتحار، واضطربت الهوية الفردية بشكل غير مسبوق، حتى غدت مسألة الغاية من الحياة سؤالًا مرعبًا لا يجد جوابًا مقنعًا في الضـــمير الجمعي الحديث (باوميســـتر، 1991، 101) كما أدت ســـيادة ثقافة الاستهلاك إلى تسليع كل جوانب الحياة الإنسانية، مما رسّخ النزعة الفردانية المفرطة (Extreme Individualism)، حيث أصبح الإنسان يُعرِّف نفسه فقط عبر اقتناء الســـلع والمنتجات، بدلًا من انتمائه لقيم أو غايات أســـمى. وقد أفرز هذا التوجه مجتمعًا مفتتًا تغيب فيه الروابط الإنسانية العميقة، لصالح علاقات استهلاكية سطحية عابرة (ريفيكن، 2000، 58)

أما فيما يتعلق بانعكاسات العدمية على فئة الشباب، فقد أظهرت الدراسات أن الشباب المعاصر بات أكثر عرضة لمظاهر القلق الوجودي، والشعور باللاجدوى، نتيجة تراجع القيم الكبرى وانهيار الأطر الدينية والثقافية التقليدية التي كانت تمد الإنسان بالمعنى. وقد أسفرت هذه الحالة عن انتشار اضطرابات نفسية واسعة النطاق مثل الاكتئاب، وانفصام الهوية، والسلوكيات الانتحارية، بالإضافة إلى ازدياد معدلات العزلة الاجتماعية والاغتراب (تونج، 2017، 79) كما أدت العدمية إلى شـــيوع أنماط فكرية وسلوكية تمجد العبث واللاإنجاز، وترى في اللامبالاة والتجريب اللحظي نمط حياة مشروعًا. وقد رصدت دراسات اجتماعية معاصرة أن الأجيال الجديدة باتت تميل إلى الانسحاب من الالتزامات الاجتماعية الكبرى، مثل الزواج، والالتزام الديني،

والمشـاركة المجتمعية، مما ينذر بتآكل مسـتمر في بنية المجتمعات الحديثة (باتنام، 2000، 65)

إن تتبع تجليات العدمية الفلسـفية في الفكر والمجتمع الحديث يُبرز خطورة هذا التيار، لا باعتباره مجرد أطروحة فلسـفية منعزلة، بل بوصـفه نمطًا من أنماط العيش، يهدد بإفراغ الوجود الإنساني من معناه، وتفكيك الروابط الاجتماعية، وتقويض أسس الهوية الفردية والجماعية. وهذا ما يجعل التصدي للعدمية اليوم، فكريًا وتربويًا، أولوية حضارية لا يمكن التغاضي عنها.

المبحث الثاني: موقف العقيدة الإسلامية من العدمية: نقد وتأصيل

المطلب الأول: مركزية المعنى والغائية في العقيدة الإسلامية

تقوم العقيدة الإسـلامية على تصـور كوني شـامل يملأ حياة الإنسـان بالمعنى والغائية، ويحدد له موقعه ودوره في الوجود. فليست الحياة في الرؤية الإسلامية حدثًا عبثيًا بلا مقصـــد، وإنما هي رحلة موجهة بحكمة إلهية دقيقة، تهدف إلى تحقيق غايات سامية مقررة مسبقًا. إن التصور العقدي الإسلامي يؤسس وجود الإنسان على الإيمان بأن له غاية خلقية كبرى، هي عبادة الله عز وجل، وعمارة الأرض، وتحقيق العدل، والاســتعداد للقاء الله تعالى يوم القيامة. وهذه الغائية تمثل إحدى الركائز المركزية التي تميز العقيدة الإســلامية عن الفلســفات العدمية التي تنكر الغاية والمعنى. فقد أكد القرآن الكريم على هذا الأصــل حين قال تعالى: ﴿أفحســبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ (ســورة المؤمنون: 115) في نفي قاطع لفكرة العبثية، وإثبات للغائية الوجودية (نصر، 1991، 36)

وفي سـياق بيان الغائية والمعنى، تزخر نصـوص القرآن الكريم والسـنة النبوية بتأكيد متكرر على أن الخلق لم يكن سـدى، بل لحكمة بالغة أرادها الخالق سـبحانه وتعالى. فمن الآيات القرآنية الدالة على ذلك قول الله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: 56]، وهي آية جامعة تُبرز بوضــوح أن الغاية من

وجود الإنسان مرتبطة بالعبودية لله تعالى، عبودية طوعية قائمة على المعرفة والمحبة والامتثال. كما يؤكد القرآن على أن الحياة الدنيا دار ابتلاء واختبار، كما في قوله تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ سورة الملك: 2) مما يدل على أن الوجود الإنساني ميدان لتحقيق القيم، لا مجرد عبور عشوائي (إقبال، 2000، 51) أما السنة النبوية فقد وضحت هذا المعنى حين قال النبي ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» (مسلم، 1955، 213) في إشارة إلى أن كل فعل للإنسان محكوم بخيارات وجودية تترتب عليها نتائج أبدية، مما يعمق الإحساس بالمسؤولية الوجودية ويمنح الحياة معناها الحقيقي.

ولا تقتصر الرؤية الإسلامية على بيان الغاية من الخلق فحسب، بل تتسع لتربط هذه الغاية بالوظيفة الوجودية للإنسان، حيث تنص العقيدة على أن الإنسان مكلّف بوظائف ثلاثة كبرى: العبودية لله تعالى، والإعمار للأرض، والخلافة فيها. فالعبودية تتجسد في توجيه الإرادة الإنسانية نحو طاعة الله تعالى، باعتبارها الغاية الأساسية للخلق، وهي عبودية تحريرية تطلق الإنسان من أسر العدمية والتيه، إلى فضاءات المعنى والهدفية (النقيب، 1980، 112) أما الإعمار فهو تعبير عن مسؤولية الإنسان في تطوير الحياة المادية والمعنوية، ضمن إطار القيم الإلهية، لقوله تعالى: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ سورة هود: 61) وأما الخلافة فتدل على منزلة الإنسان كوكيل عن الله تعالى في الأرض، مكلف بإقامة الحق والعدل، كما قال سبحانه: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ سورة البقرة: 30) مما يمنح الإنسان دورًا مركزياً ومسؤولية عظيمة في حفظ نظام الكون الأخلاقي والاجتماعي (سردار، 2003، 77)

إن هذا البناء العقدي المتكامل يحصّن الإنسان ضد التيارات العدمية التي تسلبه إحساسه بالمعنى، وتدفعه إلى القنوط واللاهدفية. فالعقيدة الإسلامية لا تكتفي بمنح الإنسان إجابات نظرية عن الوجود، بل تدمجه في مشروع كوني أخلاقي عظيم، يجعله مدركًا لقيمته الذاتية، وللغاية التي يحيا من أجلها. ومن ثمّ، فإن مركزية المعنى

والغائية في العقيدة الإســـلامية تمثل درعًا واقيًا يحمي الكينونة الإنســـانية من التيه العبثي والانهيار القيمي الذي تروجه الفلسفات العدمية الحديثة.

المطلب الثاني: الرد العقدي الإسلامي على دعاوى العدمية

يقوم الرد العقدي الإســلامي على التصــورات العدمية حول الحياة والوجود في الأساس على مبدأ التوحيد، الذي يُعد حجر الزاوية في الرؤية الإسلامية للكون والحياة والإنســان. فالتوحيد بمفهومه الشــامل لا يكتفي بإثبات وجود الله تعالى، بل يؤســس لإطار معرفي ووجودي متكامل يجعل كل شيء في الكون ذا معنى، ومترابطًا ضمن نظام محكم يدار بإرادة الله وعلمه وحكمته. على خلاف التصـــور العدمي الذي يرى الكون حادثًا عبثيًا بلا غاية أو مقصد، فإن التوحيد الإسلامي يقرر أن الوجود مخلوق بحكمة بالغة، وأن لكل مخلوق وظيفة وقصــدًا محددًا في منظومة إلهية متســقة. وقد بيّن القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿ما خلقنا الســماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ (سورة الأنبياء: 16) مما ينفي صــراحةً العبثية وينقض الأســاس الذي تقوم عليه الرؤية العدمية (نصر، 1991، 82) فالإيمان بوحدانية الله الخالق المدبر يرسخ عند الإنســان شــعورًا عميقًا بالمعنى والاتســاق الكوني، ويمنحه يقينًا بأن وجوده ليس نتاج صدفة، بل هو جزء من خطة ربانية هادفة.

إن الإيمان بالله واليوم الآخر يشـــكلان معًا الضـــمانة الكبرى لحفظ المعنى الشخصــي والكوني في التصــور الإســلامي. فبإيمان الإنســان بالله تعالى، يعي أنه لم يُخلق عبثًا، وإنما ليحقق غايات ســـامية مرتبطة بعبادة الله وعمارة الأرض. وبإيمانه بالآخرة، يدرك أن حياته ليســت نهاية مطلقة، بل مرحلة في مســار وجودي متصــل ينتهي بلقاء الله والجزاء على الأعمال. هذا التصــور يكســر الإحســاس العبثي الذي تروج له العدمية، ويزرع في قلب الإنســـان الأمل والثقة بمعنى وجوده، ويحفزه على العمل الأخلاقي والالتزام القيمي. قال الله تعالى: ﴿من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ [النحل: 97]، وهو نص صـــريح على أن الإيمان

والعمل الصـــالح يقودان إلى حياة طيبة بمعناها الوجودي والروحي (إقبال، 2000، 74) بينما يؤدي غياب الإيمان بالآخرة، كما هو الحال في التصـــورات العدمية، إلى الإحساس باليأس والقنوط والانهيار النفسي.

أما فيما يخص الأسئلة الكبرى التي تستغلها العدمية للترويج لفكرها، كمسألة الألم، والشر، والموت، فإن الجواب الإسلامي عنها يتسم بعمق فلسفي وروحي بالغ. فالإسلام لا ينكر وجود الشر والألم في الحياة، ولكنه يقدم لهما تفسيرًا ضمن إطار الغائية الكونية. فالألم يُعد وســـيلة للابتلاء والاختبار والارتقاء، كما قال تعالى: ﴿ولنبلونكم بشـــيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات﴾ [البقرة: 155]، مما يجعل الألم جزءًا من سنن الحياة التي تهدف إلى تربية النفس، وتمحيص الإيمان، وتهذيب الإرادة (ساكيدينا، 2000، 59) أما الشر، فلا يُعتبر شرًا مطلقًا من منظور الإســـلام، بل قد يكون في ظاهره شـــر وفي باطنه خيرٌ لا يعلمه الإنســـان، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم﴾ (سورة البقرة: 216) وهكذا، يدمج الإسلام الألم والشر ضمن رؤية شاملة للوجود تقوم على الحكمة الإلهية المطلقة، وهو ما ينقض الطرح العدمي الذي يرى الشـــر والألم دليلاً على عبثية الكون.

وأما الموت، الذي غالبًا ما تســـتغله العدمية كدليل على لاجدوى الحياة، فإنه في التصـــور الإســـلامي ليس نهاية عبثية، بل هو انتقال إلى حياة أخرى، ومرحلة أساسية في المسار الوجودي للإنسان. قال الله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون﴾ [العنكبوت: 57]، مما يضـــفي على الموت معنًى وجوديًا عميقًا، باعتباره لقاء مع الله ومحاسـبة على الأفعال. بهذه الرؤية، يتحول الموت من كارثة عبثية إلى جســـر نحو الخلود، ومن مصـــدر للقلق الوجودي إلى باعث على العمل الصـــالح والاستعداد للحياة الأبدية (كيتيك، 2007، 91)

من خلال هذا التحليل، يتبين أن الرد العقدي الإســـلامي لا يقوم على مجرد تفنيد منطقي للعدمية، بل يقدم بديلاً وجوديًا متكاملاً ومفعمًا بالمعنى والأمل والكرامة الإنسـانية، مما يجعل العقيدة الإسـلامية بمثابة الحصـن المنيع الذي يحمي الإنسـان من السقوط في تيارات العدمية واليأس.

المطلب الثالث: استراتيجيات تعزيز العقيدة لمواجهة الفكر العدمي المعاصر

في ظل تنامي الفكر العدمي المعاصـــر، وما يحمله من تهديد صـــريح لقيم المعنى والغائية في الوجود الإنسـاني، تبرز الحاجة الملحة إلى وضـع اسـتراتيجيات فعالـة لتعزيز العقيدة الإســـلامية في نفوس الأفراد والمجتمعات. إذ لم يعد كـافيًا الاقتصـار على الصـياغات التقليدية للخطاب الديني، بل بات من الضـروري إعادة تجديد الخطاب العقدي بما يتناســب مع طبيعة الإشــكاليات الفكرية والنفســية التي يواجهها الإنسـان المعاصـر. إن التجديد لا يعني الإخلال بثوابت العقيدة، وإنما يتمثل في تقديم حقائق الإيمان بصيغ معرفية حية ولغة قريبة من وجدان العصر، مع مراعاة الأســئلة الوجودية التي يطرحها الإنســان اليوم في ظل تصــدع المرجعيات الكبرى (رمضـان، 2004، 94) ومن مقتضـيات هذا التجديد أن يتم الربط بين قضـايا العقيدة وبين حاجات الإنســان للمعنى والأمل والغاية، وأن يُبين كيف أن الإيمان بالله واليوم الآخر يمثل ضرورة عقلية ونفسية لا غنى عنها للسلامة الوجودية للفرد.

وفي سـياق تعزيز العقيدة، يتصـدر التربية الإيمانية والفكرية أولوية قصـوى، باعتبارها الوســيلة الأنجع لغرس جذور المعنى في الأجيال الصـــاعدة. إن التربية العقدية ينبغي أن تبدأ منذ الطفولة المبكرة، مع العناية ببناء صـــورة متكاملة عن الله تعالى قائمة على الرحمة والحكمة، لا على التخويف وحده، مع تنمية وعي الطفل بموقعه في الكون، ودوره ككائن مكرم ذي رسـالة سـامية. كما ينبغي أن تمتد التربية الفكرية لتزويد الشـــباب بآليات التفكير النقدي الرشـــيد، الذي يمكنهم من تحليل الأطروحات العدمية وكشـف تناقضـاتها الداخلية، بدلاً من الاكتفاء بتحصـينهم عبر

التحذير السطحي من الشبهات النقيب، 1980، 122) فكلما كان الشاب أكثر وعيًا بالبناء الداخلي للعقيدة، وأكثر إدراكًا لموقعها في تفسير الوجود الإنساني، كان أقدر على مقاومة النزعات العدمية، وأكثر صلابة في الدفاع عن هويته الفكرية والروحية.

وعلى صعيد العمل التطبيقي، تقتضي مواجهة الفكر العدمي وضع برامج عملية تهدف إلى إحياء معنى الغاية والرسالة في حياة المسلمين. ومن أبرز هذه البرامج: إقامة ورش عمل فكرية وعقدية موجهة إلى فئات الشباب، تركز على مناقشة قضايا المعنى والغائية بأسلوب حواري تفاعلي؛ تنظيم حملات توعية ثقافية عبر وسائل الإعلام الحديثة، تبرز محورية الإيمان بالله في حفظ المعنى الشخصي والاجتماعي؛ تشجيع الكتابة الإبداعية والفنية التي تعالج قضايا العبث واللاجدوى من منظور عقدي إيجابي؛ إنشاء مراكز أبحاث متخصصة تدرس أثر العدمية في المجتمعات الإسلامية وتقترح استراتيجيات لمواجهتها (سردار، 2003، 145) كما ينبغي أن يتضمن العمل الدعوي الحديث استثمار الوسائط الرقمية والتقنية لعرض معاني العقيدة بأساليب جذابة وملهمة، تناسب نمط الاستقبال المعاصر الذي يميل إلى الصورة والاختصار والترميز.

في ضوء هذه الاستراتيجيات، يتضح أن التصدي للعدمية ليس مهمة وعظية فحسب، بل هو مشروع فكري وتربوي شامل، يتطلب تضافر جهود العلماء والمربين والمفكرين والمبدعين، لصياغة خطاب عقدي عصري رصين قادر على أن ينتصر للمعنى الإنساني في مواجهة طوفان العبث واللاجدوى.

الخاتمة

بعد رحلة علمية متأنية عبر مباحث هذا البحث، الذي تناول موضوع "العقيدة الإسلامية وتحديات العدمية الفلسفية في القرن الحادي والعشرين: قراءة نقدية"، تبيّن أن العقيدة الإسلامية تقدم إجابة متماسكة ومتكاملة عن سؤال الوجود الإنساني، في مواجهة الطروحات العدمية التي تسعى إلى تفريغ الحياة من معناها وغائيتها.

لقد كشف هذا البحث عن أن الفكر العدمي المعاصر، في تجلياته الفلسفية والثقافية والسلوكية، يمثل تحديًا وجوديًا خطيرًا، لا يقف عند حدود الفكر النظري، بل يمتد أثره ليهدد استقرار المجتمعات وتماسكها النفسي والأخلاقي.

وأظهرت الدراسة أن الإسلام، عبر تأسيسه لمبدأ التوحيد، وربطه بين الوجود الإنساني والغاية الكبرى المتمثلة في عبادة الله وعمارة الأرض، يقدم بديلاً عقديًا وجوديًا قادرًا على حماية الإنسان من الانزلاق نحو العدمية والعبث. كما اتضح أن مواجهة الفكر العدمي تتطلب تجديدًا متواصلًا للخطاب العقدي، يتسم بالحيوية والمعاصرة والعمق الفلسفي، مع تعزيز التربية الإيمانية والفكرية لدى الأجيال الجديدة، لضمان نشوء وعي مقاوم للنزعات العبثية واللاجدوى.

النتائج

من خلال الدراسة والتحليل، توصل البحث إلى النتائج التالية:

- العدمية الفلسفية ليست مجرد أطروحة فكرية، بل ظاهرة ثقافية واجتماعية متنامية، تهدد بزعزعة القيم والمعاني في حياة الإنسان المعاصر.
- تقوم العقيدة الإسلامية على رؤية شاملة ومتكاملة للوجود، تضع الإنسان في مركز مشروع إلهي قائم على الحكمة والغائية، مما يناقض الأسس الفكرية للعدمية.

- يشكل التوحيد والإيمان بالآخرة دعامة أساسية لحفظ المعنى الشخصي والكوني، ويؤسس لإدراك الغاية من الحياة ومواجهة أسئلة الألم والشر والموت برؤية إيجابية واعية.
- إن الفشل في تجديد الخطاب العقدي بما يلائم التحولات الفكرية والنفسية المعاصرة، يُعد ثغرة خطيرة قد ينفذ منها الفكر العدمي إلى عقول الأجيال الجديدة.
- التربية الإيمانية والفكرية المتكاملة، التي تدمج بين غرس الإيمان وتدريب العقل على التفكير النقدي، تمثل حجر الأساس في مواجهة النزعات العدمية الحديثة.

التوصيات

استنادًا إلى النتائج التي تم التوصل إليها، يوصي البحث بما يأتي:

- تجديد الخطاب العقدي بلغة معاصرة تجمع بين الأصالة والحداثة، مع التركيز على الإجابة عن الأسئلة الوجودية الكبرى التي تثيرها التيارات العدمية.
- تعزيز برامج التربية الإيمانية التي تنمّي لدى الناشئة وعيًا عميقًا بالغاية من الحياة، مع ربط المعاني الإيمانية بالواقع اليومي والمعاصر.
- إنشاء مراكز دراسات فكرية متخصصة في رصد الظواهر الفكرية الحديثة، وعلى رأسها العدمية، وتحليلها ووضع استراتيجيات علمية لمواجهتها.
- تشجيع الإنتاج الثقافي والفني الإسلامي الذي يرسخ قيم المعنى والغائية، من خلال الأدب، والفن، والدراما، والسينما، لتوسيع دوائر تأثير العقيدة في الحياة الثقافية.
- دمج قضايا المعنى والغائية في المناهج التعليمية، وخاصة في الدراسات الدينية والفلسفية، مع تدريب الطلاب على التفكير النقدي السليم بعيدًا عن الانغلاق أو السطحية.

- الاستفادة من التقنيات الحديثة ومنصات الإعلام الرقمي لإيصال المفاهيم العقدية بشكل تفاعلي يناسب طبيعة الجيل الرقمي، مع استخدام وسائل بصرية وسمعية مؤثرة.

يتأكد من خلال هذه الدراسة أن العقيدة الإسلامية، بما تحمله من وضوح الغاية وعظمة الرسالة، قادرة على أن تكون صمام الأمان الذي يحفظ كرامة الإنسان ومعنى وجوده في زمن الحيرة الوجودية والتيه العبثي. وإن التحدي الحقيقي الذي يواجه الأمة اليوم لا يكمن فقط في الرد على الشبهات الفكرية، بل في إعادة بناء الوعي العقدي العميق، وصياغة إنسان مسلم واعٍ برسالته، مستنير بعقيدته، صامد أمام رياح العبث والعدمية التي تهب على العالم المعاصر.

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

المصادر والمراجع

1. إسلين، مارتن. (2004). مسرح العبث. نيويورك: فينتاج بوكس.
2. إقبال، محمد. (2000). إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام. ستانفورد: مطبعة جامعة ستانفورد.
3. باوميستر، روي ف. (1991). معاني الحياة. نيويورك: مطبعة جيلفورد.
4. بوتنام، روبرت د. (2000). اللعب منفردًا: انهيار وإحياء المجتمع الأمريكي. نيويورك: سايمون وشوستر.
5. تشتيك، ويليام سي. (2007). علم الكون وعلم النفس: أهمية الكوسمولوجيا الإسلامية في العالم المعاصر. أكسفورد: وان وورلد بابلكيشنز.
6. تونجي، جين إم. (2017). جيل iGen: لماذا يكبر أطفال اليوم المفرطو الاتصال أقل تمردًا، أكثر تسامحًا، أقل سعادة—وغير مستعدين تمامًا لمرحلة البلوغ. نيويورك: أتريا بوكس.
7. دوكينز، ريتشارد. (2006). وهم الإله. بوسطن: هاوتون ميفلين.

8. رمضان، طارق. (2004). المسلمون الغربيون ومستقبل الإسلام. أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد.
9. ريفكين، جيريمي. (2000). عصر الوصول: الثقافة الجديدة للرأسمالية الفائقة، حيث تصبح الحياة تجربة مدفوعة الثمن. نيويورك: تارتشر/بوتنام.
10. ساشدينا، عبد العزيز. (2000). الجذور الإسلامية للتعددية الديمقراطية. نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد.
11. سردار، زيا الدين. (2003). مستقبلات إسلامية: شكل الأفكار القادمة. لندن: مانسيل للنشر.
12. شوبنهاور، آرثر. (1966). العالم كإرادة وتمثل (الجزء الأول، ترجمة: إي. إف. جيه. باين). نيويورك: دوفر للنشر.
13. النقيب، سيد محمد عتاس. (1980). مفهوم التعليم في الإسلام. كوالالمبور: المعهد الدولي للفكر والحضارة الإسلامية (ISTAC).
14. غارسيا، ر. ك. (2015). العدمية ومعنى الحياة: مناقشة فلسفية. لندن: رومان آند ليتلفيلد إنترناشيونال.
15. غيليسبي، مايكل ألين. (1995). العدمية قبل نيتشه. شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو.
16. كالدويل، ريتشارد. (1994). نيتشه، العدمية وفلسفة المستقبل. لاناهام: رووومان آند ليتلفيلد.
17. كامو، ألبير. (1991). أسطورة سيزيف (ترجمة: جاستن أوبراين). نيويورك: فينتاج إنترناشيونال.
18. كروسبي، دونالد أ. (1988). طيف العبث: مصادر ونقد العدمية الحديثة. ألباني: مطبعة جامعة ولاية نيويورك.
19. نصر، سيد حسين. (1991). المعرفة والمقدس. ألباني: مطبعة جامعة ولاية نيويورك.

20. نيتشـــــه، فريـدريـك. (2006). العلم المرح (ترجمـة: جوزفين نـاوكهوف). كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج.
21. يونغ، جوليان. (2007). العدمية والمعنى: نقد للثقافة المعاصـــرة. لندن: روتليدج.
22. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (206 - 261 هـ) الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت 1388 هـ] مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374 هـ - 1955 م

Resources

1. Al-Attas, S. M. N. (1980). The Concept of Education in Islam. Kuala Lumpur: International Institute of Islamic Thought and Civilization (ISTAC).
2. Baumeister, R. F. (1991). Meanings of Life. New York: Guilford Press.
3. Caldwell, R. (1994). Nietzsche, Nihilism and the Philosophy of the Future. Lanham: Rowman & Littlefield.
4. Camus, A. (1991). The Myth of Sisyphus (Trans. Justin O'Brien). New York: Vintage International.
5. Chittick, W. C. (2007). Science of the Cosmos, Science of the Soul: The Pertinence of Islamic Cosmology in the Modern World. Oxford: Oneworld Publications.
6. Crosby, D. A. (1988). The Specter of the Absurd: Sources and Criticisms of Modern Nihilism. Albany: State University of New York Press.

7. Dawkins, R. (2006). The God Delusion. Boston: Houghton Mifflin.
8. Esslin, M. (2004). The Theatre of the Absurd. New York: Vintage Books.
9. Garcia, R. K. (2015). Nihilism and the Meaning of Life: A Philosophical Discussion. London: Rowman & Littlefield International.
10. Gillespie, M. A. (1995). Nihilism before Nietzsche. Chicago: University of Chicago Press.
11. Iqbal, M. (2000). The Reconstruction of Religious Thought in Islam. Stanford: Stanford University Press.
12. Nasr, S. H. (1991). Knowledge and the Sacred. Albany: State University of New York Press.
13. Nietzsche, F. (2001). The Gay Science (Trans. Josefine Nauckhoff). Cambridge: Cambridge University Press.
14. Putnam, R. D. (2000). Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community. New York: Simon & Schuster.
15. Ramadan, T. (2004). Western Muslims and the Future of Islam. Oxford: Oxford University Press.
16. Rifkin, J. (2000). The Age of Access: The New Culture of Hypercapitalism, Where All of Life Is a Paid-For Experience. New York: Tarcher/Putnam.

17. Sachedina, A. (2000). The Islamic Roots of Democratic Pluralism. New York: Oxford University Press.
18. Sardar, Z. (2003). Islamic Futures: The Shape of Ideas to Come. London: Mansell Publishing.
19. Schopenhauer, A. (1966). The World as Will and Representation (Vol. 1, Trans. E. F. J. Payne). New York: Dover Publications.
20. Twenge, J. M. (2017). iGen: Why Today's Super-Connected Kids Are Growing Up Less Rebellious, More Tolerant, Less Happy—and Completely Unprepared for Adulthood. New York: Atria Books.
21. Young, J. (2007). Nihilism and Meaning: A Critique of the Contemporary Culture. London: Routledge.